تأصيل

المَهدوية ونهاية التاريخ: مقاربة سياسية-اجتماعية

■ سامر توفيق عجمي[1]

ملخّص

شـهدت الحضارات الإنسـانيّة رغبةً في أن يعيش الإنسـان في دولة مثاليّة، يكون الاجتماعُ السـياسيُّ فيها قائمًا على أُسـس الحـقِّ والعدل والخـير والحريّة والرفاه والسـعادة...، ولن نعثر على فلسفة سياسـية قادرة على ذلك إلّا العقيدة المَهدوية، التي تقوم على تميُّز دولته بخصائص عدّة، منها:

حاكمية الدِّين التوحيدي، وعالميّة سلطانها في المشرق والمغرب، وتحقُّق العدل التـامّ، حيث يرتفع الظلم بأشـكاله كافّة، والشُّـعور بالأمن الشـامل الطارد للخوف والقلق والاضطراب...، والرفاه الاقتصادي الذي يَتجلَّى بقدرة كلِّ مواطن على تأمين حاجاتـه، على نحو ينتفـي معه الفقر والجوع والسُّـؤال و...، والتزام الناس بالقيم، والامتناع عن الفساد، انطلاقًا من الدافع الأخلاقي الذاتي لا خوفًا من القانون، وعمل الحاكـم المعصوم في ضوء معطيات الواقع كما هـو، لا الظاهر كما يَبدو بالبيّنات والشَّهادات الحسيّة، ووصول البشريّة إلى قمّة كمال المعرفة والنُّضج العقلي.

الكلمات المفتاحية: المدينة الفاضلة، الدَّولة المَهدوية، الفلسفة السِّياسية، الديموقراطية-اللِّيبرالية، مجتمع التوحيد والعدل، مستقبل البشرية.

1 - كاتب وباحث في فلسفة الدين والكلام الجديد.

أوّلًا: منهج استشراف نهاية التاريخ

يُلاحِظ المُتتبِّعُ لآيات القرآن الحكيم، التي تعالج القضايا المُتعلِّقة بحركة الإنسان نحو المستقبل، أنَّ الرُّؤية القرآنيّة للاجتماع البشريّ، تتمحور حول فكرة حتميّة، وهي أنَّه سيصل في نهاية التاريخ إلى مرحلة ينتصر فيها الحقُّ على الباطل انتصارًا ساحقًا، فينتشر التَّوحيد والعدل، في مشارق الأرض ومغاربها، وتَنهزِمُ قوى الشِّرك والظُّلم والفساد ... فلا يبقى لها ثمّةَ مكانٌ في أيِّ بقعة جغرافيّة، كما يَلمس الباحث في الأحاديث النبويّة وروايات الأئمة المعصومين (ص) تأكيدَ الارتباط بين الدَّولة المَهدوية وبين تلك الآيات القرآنيّة التي تتحدَّث عن نهاية التاريخ، وظهور الدِّين الإلهيّ وغلبته على الفلسفات والتيّارات المختلفة. ولا يَخفى أنَّ دراسة "نهاية التاريخ الإنسانيّ" هي من المسائل المُستقبليّة التي تَندرج في عالَمِ الغَيب، المَستور عن الأدوات الإدراكيّة للإنسان وعقله وحواسِّه، بحيث يحتاج في المعرفة بها إلى مصدر خارجيٍّ يكشف له عنها، وهو في عقيدتنا الوحيُ المتمثّل في الكتاب والسنة، وفي هذا السياق، نفهم ما رُوي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ المقصود بـ"الغيب" هو " الحجّة الغائب المستور" و"قيام القائم أنّه حقّ"[1]، وبهذا تتبينَّ أمور ثلاثة:

1. أنَّ مستقبل البشرية ونهاية التاريخ من القضايا الغَيبيّة.
2. أنَّ الاطِّلاع على القضايا الغيبية أمرٌ مُمكِنٌ بواسطة الوحي المُنكشِف، كما في تبشير عيسى بمحمّد عليهما السلام[2]، وغلبة الروم[3]...
3. أنَّ الفرق الجوهري بين منهجيّتنا في التفكير تجاه نهاية التاريخ، وبين طريقة غيرنا، أنَّ منهجيّتَنا تستند إلى معطيات الوحي مَضمونةِ الحَقّانيّة، أمّا غيرنا فيَعتمد على انطباعات شخصية وفرضِيّات حدسيّة واحتمالات نظريّة.

---

1 - الصدوق: كمال الدّين وتمام النعمة، ج1، ص46. & الحويزي: تفسير نور الثقلين، ج2، ص32.
2 - سورة الصف، الآية: 6.
3 - سورة الروم، الآية: 3-1.

1 - حلم "المدينة الفاضلة" والـ"يوتوبيا" عالم الحقّ والعدالة والحريّة والسعادة

شـهدت الحضاراتُ الإنسـانيّة على امتداد وجودها التاريخيِّ مظاهر عدّة للتعبير عن رغبة الإنسان في أن يعيش في دولة مثاليّة، يكون الاجتماعُ السياسيُّ فيها قائمًا على أساس الحقّ والعدل والخير... ولذلك ركَّزَت على قضايا كثيرة تدور في فلك الفلسفة السياسيّة، مثل: الحاكم، السـلطة، الدولة، الأمّـة، القانون، النِّظام العام، العدالة، الاسـتبداد[1]...، خصوصًا في القرون الأخيرة، حيث تطوَّر البحثُ عن مثل هذه القضايا عند أمثال: (هوبز - Thomas Hobbes)، (لوك - John Locke)، (هيوم - David Hume)، (روسو - Jean-Jacques Rousseau)، (مِل - John Stuart Mill)، (ماركس - Karl Marx) ... وغيرهم الكثير[2].

وفي هـذا الإطار، نحتَ الفيلسـوف اليوناني (Plato أفلاطـون 427 ق.م- 347 ق.م) مفردةَ: "المدينة الفاضلة"، للتعبير عن دولةٍ يَعيش فيها الناس بسـلام ومحبّة ومسـاواة، وتُحقِّق سـعادةَ أفرادها، ويَحكمُها الفلاسفة، لأنّهم بحِكمتهم سيَجعلونها نموذجًا للمحاكاة. ثمّ أصبحت عبارة "المدينة الفاضلة" اصطلاحًا يُشـكِّل رمزًا للدولة التي يتمتَّع فيها الإنسان بالسَّعادة والعدل و...، وكتب الفيلسـوف المسـلم (الفارابي) (260-339هـ/950م) كتابَ "آراء أهل المدينة الفاضلة"، حيث يتعاون أفرادُها من أجل أن يَسود فيها العدلُ، ويتمتَّعَ سكانُها بالسَّعادة.

وأبدع خيال بعض الأدباء، مثل (Thomas More توماس مور 1478-1535م)[3]، عالَماً معكوسًا للعالم الواقعيِّ، نتيجة ما يُشاهد فيه من الظُّلم والجور والفساد و...، واصطلح عليه: "يوتوبيا"[4]، وأصبحت شـعارًا للمكان الأمثل للعيش، الذي تُحلُّ فيه مشـكلاتُ الإنسـان المختلفة، حيث السعادة، والغِنى المادي، والحريّة مقابل العبوديّة، والتَّوزيع العادل للثروات، والسَّلام، واحترام القانون، والازدهار العمرانيّ، والرفاه الاقتصاديّ...

---

1 - انظر: مصطفى النشار: تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون. & ديفيد ميلر: الفلسفة السياسية- تمهيد موجز جدًّا. & جمال سلامة علي: السياسة بين الأمم (النظرية السياسية وقضايا الفكر السياسي).

2 - انظر للتفصيل: جون رولز: محاضرات في تاريخ الفلسفة السياسية. & محمد مصطفوي: نظريات الحكم والدولة - دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري.

3 - انظر: توماس مور: يوتوبيا.

4 - يوتوبيا، في الأصل مفردة إغريقية تتكون من: (οὐ) أي: "لا" و (τόπος) أي: "مكان"، والمعنى: لا مكان لها في الواقع.

2 - عقيدة الأمل بوصول البشرية إلى المدينة الفاضلة

أغلب الظنِّ أنَّ الدافع الكامن خلفَ الفكرة المتقدِّمة فِطريٌّ مَجبول في داخل النفس البشريّة، ويَرتبط بالمَهدويّة، أو فكرة المُخلِّص والمُنقِذ عمومًا. ولذا نعثر عند رصد التراث الدينيِّ للشعوب انتشارَ عقيدة الأمل بوصول البشريّة في آخر الزمان إلى مجتمع تتجسَّد فيه أحلامُ الإنسان بالسَّعادة والعدالة والحقِّ والرفاه و... على يدِ مُخلِّصٍ ومُنقِذ. ونلاحظ هذه العقيدة في الأديان السَّماويّة الثلاثة: اليهوديّة، والنصرانيّة، والإسلام، كما نجدها في الدّيانات الأخرى، كالزرادشتيّة[1]، والهندوسية، والفرعونية[2]، والبابليّة، والبوذيّة[3]... وغيرها، بل عند بعض التَّيارات والاتجاهات الإلحاديّة، كالماركسيّة والمادية التاريخيّة، حيثُ نَرى أنَّ المجتمع البشريّ، بعد أن يقطع بعضَ المراحل، ويَصل إلى الاشتراكيّة، سيتقدَّم إلى الأمام، وتسود الشُّيوعيّة العالَم، وتُصبح فكرةُ الدولة من الماضي، لأنَّ المجتمع البشري سيُدير شؤونه بالاستغناء عن الدَّولة والحكومة، وستَختفي الطَّبقات الاجتماعيّة، ويَعمل أفرادُ البشر جميعًا من أجل الجميع[4].

وبعد انهيار الاتِّحاد السوفياتي وتراجع المدِّ الشيوعيّ، وشعور أمريكا بالتفوُّق وتحقيق الانتصار، كتب الفيلسوف السياسيّ الأميركي (فرنسيس فوكوياما - Francis Fukuyama) كتابَه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، مبشِّرًا بأنَّ الديموقراطيّة اللِّيبراليّة، بقِيَمها: الحرية، الفردية، المساواة، السيادة الشعبيّة، ومبادئها الاقتصاديّة، ستَنتصر على مُستوى المبادئ والقِيَم، لتشكل نهايةَ حركة تطوُّر الإنسان، وتكون هي الشَّكل الأخير للحكومة البشريّة، إذ لا بديلَ بإمكانه تَحقيق نتائج أفضل.

يقول (فوكوياما) في نصٍّ يُلخِّص لنا فلسفته: "إنَّ الدِّيموقراطيّة الليبراليّة بإمكانها أن تُشكِّل فعلاً 'مُنتهى التطوُّر الأيديولوجي للإنسانيّة'، و'الشَّكلَ النِّهائيَّ لأيِّ حُكم إنسانيّ'، أي أنَّها من هذه الزاوية 'نهاية التاريخ'؛ فبينما كانت أشكال الحُكم القديمة تتميَّز بأخطاء خطيرة، وتناقضات

---

1 - انظر: فراس السواح: الرحمن والشيطان -الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقيّة، ص53. & عبد الواحد وافي: الأسفار المقدّسة في الديانات السابقة للإسلام. & وحبيب سعيد: أديان العالم. & خليل عبد الرحمن: افستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية.

2 - جيمس بريستي: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ص.ص. 114-115.

3 - فراس السواح: الرحمن والشيطان -الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقيّة، ج5، ص.ص. 17،34،36،75.

4 - ماركس؛ إنجلز: البيان الشيوعي في أول ترجمة غير مزوّرة، ص.ص. 127-128.

لا يَقبلها العقلُ أدَّت إلى انهيارهـا، فإنَّه بالإمكان الادِّعاء أنَّ الدِّيموقراطيّة الليبراليّة كانت خاليةً من هذه التناقضات الأساسـيّة. ولا يَعود ذلك لكون الدِّيموقراطيات الثابتة اليوم، كمثل فرنسـا والولايات المتحدة وسويسرا، لم تَعرفْ لا المَظالم ولا المَشاكل الاجتماعيّة الخطيرة، ولكن لأنَّ هذه المشاكل كانت تَنجم عن التطبيق غير الكامل لمبدأ الحرية والمساواة اللَّذين هما الركيزتان لأي ديموقراطية حديثة ... فالمثال الأعلى للديموقراطيّة الليبراليّة لا يمُكِن تَحسـينه على صعيد المبادئ."[1].

3 - التوحيد في نهاية التاريخ: لا مكان للديموقراطيّة- الليبراليّة

نظرًا لقصور عقل الإنسـان عن إدراك الوجود بكافة أبعاده، وعجزه عن إدراك أبعاده النفسـية واحتياجاتـه وتركيبها المُعقَّد، فلا بدَّ من الحاجة إلى وحي إلهيٍّ، ولُطفٍ خاصٍّ من أجل تحديد شكل النِّظام الأمثل، والاتِّجاه الصَّحيح للسَّير نحو التكامل وسعادة البشرية، ولا يمُكِن -بعيدًا عن هذا اللُّطف/الوحي- أن تُوجَد فلسفةٌ سياسية قادرة على تلبية حاجات الإنسان الوجوديّة، كالحقِّ والعدل والقسـط والرفاه والغنـى والمعرفة وطرد أضدادها، إلّا العقيدة المَهدوية، وستكتشـف البشريّةُ بتجربتها الطَّويلة مع أنظمة الحُكم المختلفة، أنَّها عاجزة عن تأمين ما يَرغب به الإنسانُ؛ فلن تُحقِّق أيُّ عقيدة سياسـية، في الحدِّ الأقصى، إلا جُزءًا بسـيطًا من حاجاته، وسـيَبقى الظُّلم والفسـاد والجوع والفقر والاسـتعباد والاسـتغلال والعنفُ والفوضى و... مَوجودًا على أرض الواقع، وحينها سيتجاذبُ البشرَ شُـعوران: الأوّل: الإحساس باليأس عمّا في أيديهم من أنظمة حُكم وعقائد سياسيّة؛ لأنَّها غير قادرة على تحقيق الحلم البشريِّ الذي تَنزع نفوسُهم إليه بدافع فطريّ. والثاني: عودة الأمل بإمكانية خروج مُخلِّصٍ ومُنقِذٍ يأخذُ بيد البشريّة إلى شاطئ الأمان، ويَنقلُهُم إلى الصِّيغة التي تمُكِّنُهم من تحقيق حلمهم الفطريِّ بمجتمع الحقِّ والعدل والسَّعادة، ويُصَدِّق ذلك رواياتٌ منها ما ورد عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنَّه قال: "ما يكـونُ هذا الأمرُ [أي: خروج القائم المَهديّ] حتى لا يَبقـى صِنفٌ من الناس إلّا وقد وُلُّوا على النّاس، حتَّى لا يَقول قائلٌ: إنّا لو وُلِّينا لَعَدَلنا، ثم يقوم القائمُ بالحقِّ والعدل."[2].

1 - فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص23.
2 - النعماني: الغيبة، ص280.

عندما تصل البشريّةُ، في ضوء التجربة التاريخية المَديدة في السُّــلطة والولاية والحُكم، إلى نقطة تســتنفد فيها كلَّ مــا يمُكِنُ أن يتصــوَّرَه عقلُها القاصرُ من نظريــاتٍ لإدارة حياة الإنسان، وتلمُّس أنّه لا واحدة منها قادرةٌ على تلبية ذلك الطُّموح، تتبلور في الميدان رؤيةٌ جديدةٌ قــادرة على الإنقاذ والإغاثة، حيــثُ لا مُنقذَ ولا مُغيثَ، وهــي العقيدة المَهدويّة؛ عــن الإمام الباقر (ع): "دَولتُنا آخرُ الدُّوَل، ولَم يَبقَ أهلُ بيتٍ لهم دولةٌ إلا مَلكوا قَبلَنا، لئلا يَقولوا إذا رأوا سيرتَنا: إذا مَلَكنا سِرنا مثلَ سيرة هؤلاء! وهو قول الله عز وجل: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾[1]"[2].

إنَّ أصل فلســفة الدِّيموقراطيّة قائمٌ على مبدأ الشِّرك في الحاكمية، لكونها مُؤسَّســةً على إرادة الإنســان مقابل إرادة الله تعالى، فهي نظريةٌ باطلة وغــير مضمونة الحَقّانيّة في ذاتها، لأنَّها تُحلُّ الإرادةَ الشــعبيّة محلَّ الإرادة الإلهية في الحكم، ومُقتــضى التَّوحيد الأفعالي: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ [يوسف: 40]، فلا حاكميّة لغيره إلّا بإذنه، والإرادةُ الشَّعبيّة غيرُ مَمنوحة هذا الإذنَ بلحاظ إعطاء المَشروعية للسُّلطة، وإن كان للسِّيادة الشَّعبيّة أثرٌ من حيث المَقبوليّة.

ولذا نُلاحظُ في الرِّوايات التَّركيزَ على ســيادة مَنطق عقيدة التَّوحيد في نهاية التاريخ، في مقابل الوثنيّة والشِّرك والعلمانيّة والدِّيموقراطيّة والاشــتراكيّة واللِّيبراليّــة والمَدنيّة... وكل نظرية تقوم على أســاس مُناقَضة التَّوحيد؛ ففي الرواية الشَّريفة تأويلٌ لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُــدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَــرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [الصف: 9]، عن أبي جعفر الباقر (ع): "لم يَجِئْ تأويلُ هذه الآية، ولو قامَ قائمُنا بعدُ سَيَرى مَن يُدرِكُ ما يَكون من تأويل هذه الآية، لَيَبْلُغَنَّ دينُ محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ما بلغَ اللَّيلُ، حتى لا يكونَ شركٌ على ظهرِ الأرض."[3]، فالدَّولةُ المَهدويّة تتميَّــز بأنَّها دولةٌ دينيّة تَوحيديّة، الحاكم فيها هو الدِّين الحقُّ في صورته الواقعية، كما أنزله الله تعالى بنحو حصريّ، فلا مَكانَ للتعدُّدية الدِّينيّة في الدَّولة المَهدية؛ لغلبة الإسلام وظهوره على الأديان كافّةً.

1 - سورة الأعراف، الآية:128

2 - الطوسي: الغيبة، ص472. & انظر: الصدوق: الأمالي، ص396.

3 - العياشي، تفسير العياشي، ج2، ص56.

ثانيًا: دولة الفطرة التوحيديّة الإنسانيّة العامّة

يقول تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [الأنفال: 7-8]، ويقول -تعالى-: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [براءة: 33]، هاتان الآيتان وغيرهما تُبيِّنان بوضوح أنَّ التاريخ البشريَّ يتحرَّك ضمنَ قوانينَ اجتماعيةٍ، تَنتهي بانتصار الحقِّ على الباطلِ، وحاكميّةِ الدِّينِ التَّوحيديِّ على العالم، حيث -كما ذكرنا- سيَعيش البشرُ حالةً من اليأس عمّا في أيديهم من نظريات حُكم، قائمة على أساس الوثنيّة والشِّرك، وتَنزع نفوسُهم في ضوء القانون الفطريّ إلى التَّوحيد؛ لأنَّنا نعتقد أن الله تعالى خلقَ بيَدِ حِكمته الهادفة الإنسانَ بكيفيّة خاصة، حيث صَمَّم في داخله مجموعةً من المشاعر والعواطف والرغبات والميول والغرائز ... التي تُمكِّنُه من تأمين حاجاته الحياتية الماديّة والمعنويّة وتحقيق أهدافه، وهذه نُسمِّيها: "الفطرة".

فالفطرة هي الكيفية الخاصة التي وُجِد الإنسان عليها. ومن هذه المُيول الفطريّة، التي يَشعر الإنسانُ بها في داخله، حالةُ الانجذاب نحو قوة عظمى في هذا الكون، التي نَصطلح عليها: الشُّعور الدِّينيّ. فالشُّعور بالله تعالى، والانجذابُ إليه، فِطريٌّ داخلَ النَّفس البشريّة، بمعنى أنَّ الإنسانَ مُركَّبٌ بكَيفيّةٍ خاصّة، يَنجذِبُ معها إلى القوّة العُظمى في الكون.

هذا الامتداد التاريخي عندَ الحضارات كلِّها، لحلم المجتمع أو الدولة التي تسود فيها هذه القيم، يُؤشِّر إلى أنّه وإن لم يكن له مكانٌ الآنَ على الأرض، إلاّ أنّه أمرٌ فِطريٌّ مَجبول في داخل كلِّ نفس بشريّة، فالإنسان بأصل تكوينه النَّفسيِّ يَميل إلى مثل هذا الحلم، ويَسعى لتحقيقه في أرض الواقع في المُستقبَل، بناءً على أنَّ استقراء الرَّغبات البشريّة مقترنةً بموضوعيّة الإشباع وواقعيّته يُفيدنا قانونًا عامًّا مُطّردًا في أنَّ الرَّغبات البشرية صُمِّمت بهندسة هادفة في مُتعلَّقاتها، بمعنى ثبوت موضوعها في الواقع، فالرغبة في الإنجاب مثلاً لها موضوع مُتحقِّق، وكذلك الرَّغبة الجنسيّة أو الرغبة في الطَّعام والشراب...، إذ لا يُمكِنُ إنكارُ التَّصميم الذَّكيّ المَوجود في الطبيعة، تصميم يقود كلَّ قوة كامنة في النفس البشريّة إلى الفعليّة، بتوفير فرصة تحقيقها في عالم الواقع، ﴿**الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [طه: 50]، فرغبة الإنسان في مجتمع مثاليٍّ ودولة طيِّبة من جملة مصاديق هذا القانون الكليِّ المُطَّرد، فلا يُعقَل ألاّ يكونَ لها مُتعلَّق مُحقِّق لها، وإلاّ كان تصميمها عبثيًّا في الذات البشريّة، وهو مَنفيٌّ بالحكمة الإلهيّة التي تَخْلُق لهدف موضوعي.

والنَّفس البشرية مُصمَّمة بطريقة تَنجذب فيها إلى التوحيد[1]. فعندما تصل البشريةُ إلى نقطةٍ تَشعر فيها بأنَّها تَغرق في بحر الشِّرك والوثنية واليأس والجوع والفقر والعنف والاستعباد والجهل والمرض و... وأنَّ السَّفينة التي تُبحرُ على مَتنها في الحياة، من نظريات وضعية بشريّة أو دينية، مُحرِّفة غير قادرة على إنجائها، وتتقطَّع بها كلُّ السُّبل، فلا يَبقى إلا سبيل الله -تعالى-[2]، في هذه اللَّحظات، يَظهر الدِّينُ الحَقُّ على غيره من الأديان كلِّها، ومعنى إظهار الدِّين على غيره، أي نُصرته وتَغليبه، فلا يَبقى ثمّةَ دينٌ آخَرُ غيرُ الإسلام في جميع أنحاء الأرض. وقد فسَّر الإمامُ الباقر (ع) الآيةَ المُتقدِّمة ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ بخُروج القائم (عج)[3].

1 - دولة تمكين المُستضعَفين الصالحين

الدَّولة المَهدويةُ هي دولة عالمية شاملة، يَظهر سلطانُها في المَشرق والمغرب، فلا يَبقى ثمّةَ نقطةٌ على الأرض إلّا وهي خاضعة للسِّيادة المَهدويّة، لا بالإكراه، بل في ضوء النُّزوع الفِطريِّ إلى المجتمع المَهدوي بالاختيار والإرادة الحرّة، "حتَّى تُسكنَه أرضَكَ طَوعًا"، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105]، والمراد من وراثة الأرض انتقالُ التسلُّط على منافعها إلى عباد الله الصالحين، الذين وردَ في الرِّوايات أنَّهم "هم القائمُ وأصحابُه في آخر الزَّمان"، فيكون مُؤدَّى الآية أنَّ الأرضَ ستتطهَّرُ من الشِّرك والمَعصية، ويَسكنها مُجتمعٌ بشريٌّ صالح، يَعبدونَ اللهَ ولا يُشركونَ به شَيئًا[4]. ويمُكِّنُ اللهُ تعالى لهم دينَهم الذي ارتَضى لهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: 55].

---

1 - انظر: سورة الروم، الآيتان: 30-31. & البخاري: الجامع الصحيح، ج2، ص104. الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج2، ص49، ح1668. الكليني: الكافي، ج2، ص12. & البرقي: المحاسن، ج1، ص241. العياشي: تفسير العياشي، ج2، ص41. & الصدوق، التوحيد، ص231.

2 - انظر ما روي عن الإمام العسكري (ع)، الصدوق: التوحيد، ص231.

3 - الصدوق: كمال الدّين وتمام النعمة، ص359.

4 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص330.

فالله سبحانه يَعِدُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّه سيَجعل لهم مُجتمَعًا صالحًا، خالصًا من الكفر والنِّفاق والفسق، يَرِثُ الأرضَ، لا يَحكم في عقائد أفراده ولا أعمالهم إلّا الدِّين الحقُّ، يَعيشون آمنين من غيرِ خَوفٍ من عدوٍّ داخلٍ أو خارج، أحرارًا من كيد الكائدين وظُلم الظّالمين وتحكُّم المُتحكِّمين. وهذا المجتمع الطيِّب الطّاهر، على ما له من صفات الفضيلة والقداسة، لم يتحقَّق، ولم يَنعقد منذ بُعث النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا هذا، وإن انطبق فلْيَنطَبِقْ على زمن ظهور المهدي (ع)، على ما ورد من صفته في الأخبار المُتواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)[1].

2 - دولة القسط والعدل الشامل

الدَّولة المَهدويّة يَسود فيها العدلُ التامُّ الشّامل، ويَرتفع الظُّلم بأشكاله كافّة، فلا يَبقى فرد، أو جماعة، أو قبيلة، أو منطقة جغرافيّة... إلّا ويَشملها نظامُ العدالة العامّ؛ فعَن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أُبَشِّرُكُم بالمَهديِّ يُبعَثُ في أُمَّتي على اختلاف من الناس وزَلازلَ، فيَملأ الأرضَ قسطًا وعَدلًا كما مُلِئَت ظُلمًا وجورًا، يَرضى عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الأرضِ، يقسمُ المالَ صحاحًا. فقال له رجلٌ: وما صحاحًا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلّم: السَّويّةُ بينَ النّاسِ"[2]، وعن الإمام الباقر (ع): " إذا قام قائمُ أهل البيتِ قسمَ بالسَّويةِ، وعدلَ في الرَّعيّة... ويَملأُ الأرضَ عَدلًا وقسطًا ونورًا كما مُلِئَت ظُلمًا وجورًا وشرًّا"[3].

3 - دولة الشعور بالأمن الكامل

تقدَّم في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ أنَّه في اللَّحظة التي يمُكِّنُ اللهُ تعالى للصّالحينَ في الأرض، في العصر المَهدويّ. كلُّ إنسان يَنزع فطريًّا إلى الأمن، وتَهتف نفسُه به، فالشُّعور بالأمن حاجة إنسانيّة ضروريّة، ولذلك وردَ التأكيد في مَنطق النبيِّ وأهل البيت على هذه النقطة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا خيرَ في... الوطنِ إلّا معَ الأمنِ

1 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص199.
2 - الإربليّ: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج3، ص270.
3 - النعماني: الغيبة، ج1، ص241

والسُّرور"[1]. بل في القرآن الكريم كثيرٌ من الآيات التي تُركِّز على محوريّة الشُّعور باللاخوف في حياة الإنسان، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: 13].

ومجتمعاتُنا اليوم لا تَحظى بالأمن، إذ يُخيِّم الخوفُ عليها؛ فهي واقعة تحتَ التَّهديد والتَّرهيب، سواء على مستوى التَّهديدات الخارجيّة من قبل المُستكبرين الذين يَحتلُّون بلادَنا ويَسفكون دماءنا، أو من قبل الجماعات الإرهابيّة الداخليّة، أو من قبل المافيات التي تَعيث في الأرض فسادًا وسرقةً واغتصابًا و... فتُهدِّد أمنَ المواطنين.

وفي نهاية التاريخ بعدَ أن تمرَّ شعوب الأرض بحالة من الخوف والقلق والاضطراب، نتيجة الصِّراعات والحروب والعُنف ... يأتي المجتمع المَهدويُّ لِيَمدَّ يدَ الأمن والأمان للإنسان، وقد أكَّدَت روايات عدّةٌ هذه الفكرة، منها في معنى "آمنين" في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ [سبأ: 18]، عن الإمام الصادق (ع) قال: "مع قائمنا أهل البيت"[2]، ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ [آل عمران: 97]، قال الإمام الصادق (ع): "فمَن بايعَه [أي بايع الإمامَ القائمَ] ودخل معَه ومسحَ على يده، ودخل في عقد أصحابه كان آمنًا."[3]، حتى يصل الحال في المجتمع المَهدوي أن "تَخرُجَ العَجوزُ الضَّعيفةُ من المَشرق تُريد المَغربَ، لا يُؤذيها أحدٌ"[4]، بل يأمن الإنسانُ حتى من الحيوانات، "حتَّى تمَشي المرأةُ بينَ العِراق والشّام، لا تَضعُ قدمَيها إلا على النبات، و على رأسها زينتها، لا يُهيِّجُها سَبُعٌ، ولا تَخافُه."[5].

بل حتى المجتمع الحيوانيُّ ينعمُ بالأمن والأمان فيما بين كائناته وأنواعه وأصنافه، فعن الإمام علي (ع): "... وتَرعى الشّاةُ والذِّئبُ في مكانٍ واحد، ويَلعَبُ الصِّبيانُ بالحَيّاتِ والعَقاربِ، لا

1 - المجلسي: بحار الأنوار، ج77، ص58. & المفيد: الاختصاص، ص243. & الصدوق: معاني الأخبار، ص408، ح87.
2 - الصدوق: علل الشرائع، ج1، ص83-86.
3 - م.ن.
4 - نص رواية عن الإمام الباقر (ع)، انظر: القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى، ج3، ص240.
5 - نص رواية عن أمير المؤمنين علي (ع)، انظر: الصدوق، الخصال، ص626.

يَضرُّهم شيءٌ، ويَذهبُ الشرُّ، ويَبقى الخيرُ..."[1].

4 - دولة الغنى المالي والرَّفاه الاقتصاديّ

يُؤكِّد القرآنُ الكريم في قراءته السُّننيّة على الرَّبط الأكيد بين المجتمع الصالح، المؤمن، المستغفر، المستقيم، المقيم للكتب الإلهية...، وبينَ تفجُّر الأرض بثَرواتها وخَيراتها، وتَفتُّح السَّماء ببركاتها؛ يقول تعالى على لسان النبيِّ نوح (ع): ﴿**فقُلتُ استَغْفِرُوا رَبَّكُم إنَّهُ كانَ غَفّارًا * يُرسِلِ السَّماءَ عَلَيكُم مِدرارًا ويُمْدِدْكُم بِأموالٍ وبَنينَ ويَجعَلْ لَكُم جَنّاتٍ ويَجعَلْ لَكُم أنهارًا**﴾ [نوح: 10-12]، فهذه الآية القرآنيةُ الكريمة تُوضِّح العلاقةَ بين أمرين على نحو الشَّرط والجَزاء، إذا كان المُجتمعُ من حيثُ هو مجتمعٌ استغفاريًّا، فإنَّ الله تعالى يُرسِل السَّماء على هذا المجتمع مدرارًا، ويمُدُّه بالأموال والبَنين، ويَجعلُ له جنّاتٍ ويجعل له أنهارًا، وهذا يَعني أنَّ الخيرات الإلهية تُحيط بهذا المجتمع من فوقه ومن تحته[2].

ويقول تعالى: ﴿**ولَو أنَّ أهلَ القُرى آمَنُوا واتَّقَوا لَفَتَحنا عَلَيهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرضِ**﴾ [الأعراف: 96]، وفي موضع آخر يقول -عزّ وجلّ-: ﴿**وأَنْ لَو استَقامُوا عَلَى الطَّريقةِ لأسْقَيناهُم ماءً غَدَقًا**﴾ [الجن: 16]، ثم يقول -تعالى-: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾ [المائدة: 66]. يقول (السيد محمد باقر الصدر) تَعليقًا على هذه الآيات الثلاث: "هذه الآياتُ الثَّلاثُ تتحدَّثُ عن عَلاقةٍ مُعيَّنة هي العَلاقةُ بينَ الاستقامة وتَطبيق أحكام الله -سبحانه وتعالى- وبينَ وَفرة الخَيرات وكثرة الإنتاج"[3].

ومن الواضح أنَّ هذه الشروط لن تتوفَّرَ بشكلها التامِّ إلّا في المجتمع المَهدويِّ، حيثُ المجتمعُ الاستغفاريُّ، المؤمن، المتَّقي، الصّالح، المُستقيم، المُقيم للكتب السَّماويّة، العامل بالشريعة... وبناء عليه، فمن مميِّزات المجتمع المهدوي، وخصائص الدَّولة المَهدويّة في نهاية التاريخ، تفجُّر الأرض بخَيراتها، وتفتُّح السَّماء ببركاتها، وتحسُّن الأوضاع المعيشيّة للناس بنحو

1 - المقدسي الشافعي: عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص159. نقلاً عن: المرعشي: شرح إحقاق الحق، ج29، ص440.

2 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج20، ص102.

3 - محمد باقر الصدر: مقدّمات في التفسير الموضوعيّ للقرآن، ص57.

يُصبح كلُّ مواطن قادرًا على تأمين حاجاته، وتلبية مُتطلَّباته التي تُوفِّر له سعادتَه ولَذّتَه في حلال. وبذلك يَنتفي الفقرُ والجوع والعطش والدَّين والقَرض والحاجة والسُّـؤال و... ويتجلّى "اللَّهُم أغنِ كلَّ فقيرٍ، اللَّهمَّ أشبِعْ كلَّ جائعٍ، اللَّهمَّ اكسُ كلَّ عُريانٍ، اللَّهمَّ اقضِ دَينَ كلِّ مَدينٍ..."، وهناك إشاراتٌ كثيرة في الأحاديث إلى هذه الفكرة، منها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: "تَنعمُ أُمَّتي في زمنِ المَهديِّ نِعمةً لم يَنعموا مِثلَها قَطُّ، تُرسَلُ السَّماءُ عليهم مِدرارًا، ولا تَدَعُ الأرضُ شـيئًا من النَّباتِ إلاّ أخرجَتهُ، والمالُ كُـدوسٌ"[1]، وعن أمير المؤمنين (ع) : "... ولَو قَد قام قائمُنا لأنزَلَتِ السَّماءُ قَطْرَها، ولأَخرَجَتِ الأرضُ نَباتَها..."[2].

5 - حاكميّة الضَّمير الأخلاقي في الدَّولة المَهدوية

إنَّ انضبـاطَ المواطنين في الدُّول يقوم غالبًا على احـترام القانون، وخوفًا من الجَزاء، وإن لم تتشـكَّلْ قناعـةٌ داخليّةٌ بما يَلتزم به الإنسـانُ بدافعٍ من الضَّمير الأخلاقيّ، فالسِّـيادة هي لِمَنطِق القانون وموادِّ الدسـتور، أمّا في الدَّولة المَهدوية فإنَّ الحاكِمَ هو الضَّميرُ الأخلاقيُّ العامُّ، حيث يمتنـعُ الناسُ عن الفسـاد والشرِّ والرَّذيلة كـشرب الخمر والزِّنى والرِّبـا و... انطلاقًا من الدافع الأخلاقيِّ الذّاتي، لا خَوفًا من القانون الشرعيّ؛ عن أمير المؤمنين علي (ع): "فيَبعَثُ المَهديُّ إلى أُمَرائه بسائر الأمصار بالعَدل بينَ النّاسِ، وترَعى الشّاةُ والذِّئبُ في مكانٍ واحد، ويَلعَبُ الصِّبيانُ بالحيّات والعَقارب ولا تَضرُّهُم بشيءٍ، ويَذهبُ الشَّرُّ، ويَبقى الخيرُ، ويَزرع الإنسانُ مُدًّا، وتَخرجُ له سبعةُ أمداد، كما قال الله تعالى، ويَذهب الزِّنى وشُرب الخمر ويَذهب الرِّبا، ويُقبلُ الناسُ على العبادات والشَّرع والديانة، والصَّلاة في الجماعات، وتَطولُ الأعمارُ، وتُؤدَّى الأمانَاتُ، وتَحمل الأشجارُ، وتتضاعف البرَكات، وتَهلك الأشرارُ، وتَبقى الأخيارُ، ولا يَبقى مَن يُبغِضُ أهلَ البَيتِ (عليهم السلام)"[3]، وفي السِّياق نفسه، ترتفع البَغضاءُ والشَّحناءُ من نفوس الناس، بحيث يُصبِح الضَّميرُ الأخلاقيُّ صافيًا، يَنزِعُ الله تعالى ما فيه من غِلٍّ بين الأفراد. كما رُوي عن أمير المؤمنين

1 - ابن طاووس: الملاحم والفتن، ج1، ص146.
2 - الصدوق: الخصال، ص626. & القندوزي: ينابيع المودة، ج3، ص240.
3 - المقدسي السلمي الشافعي: عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص159. نقلاً عن: شهاب الدين المرعشي: شرح إحقاق الحق، ج29، ص440.

(ع): "لو قد قام قائمُنا... لذهبَت الشَّحناءُ من قلوب العباد"[1].

يقـول تعالى: ﴿**إنَّ اللهَ لا يُغيّرُ ما بقَـومٍ حتَّى يُغَيّرُوا ما بِأنفُسِـهِم**﴾ [الرعد، الآية :11]، من القواعد والسُّـنن الاجتماعيّة في الحياة الإنسانيّة أنَّ حركة التَّغيير الاجتماعي -"لا يُغيرٌ ما بقَوم"- مُرتبطةٌ بحركة التَّغيير النَّفسي والأخلاقي والرُّوحي للإنسان -"حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفُسهم"-، فإذا أراد أيُّ مجتمع أن يُحدثَ تَغييراً شاملاً في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة و...، ليَنتَقِلَ من حال الظُّلم والفَسـاد والجور والطُّغيان إلى العَدل والقسـط والصَّـلاح و...، فعَلَيه أن يَعمل على إحداث تغيير رُوحي وأخلاقي في المحتوى الداخلي لنفوس أفراده، وما لم يَحدُث التَّغيير الأخلاقي لن يَحدُثَ التَّغيـير الاجتماعي المطلوب المُرتبط به؛ فإذا قام أفراد مجتمع ما بتحمُّل مَسـؤوليّاتهم القيَميّة، وعَملوا على تَغيير المُحتوى الرُّوحي الدّاخلي لأنفُسـهم، فإنَّ التَّغييرَ في الأوضاع الاجتماعيّة والظروف الخارجية سـيَحصل بإرادة الله تعالى. وفي الدولة المَهدويّة إنَّ تَغيير الأنفس الأخلاقي سيُؤدِّي إلى تغيير الواقع الاجتماعي كلِّه.

6 - الدَّولة المَهدويّة حكومة الواقع لا الظاهر

الدَّولة المَهدويّة هي دولةُ الواقع لا الظّاهر، بمَعنى أنَّها دولةٌ يَحكم فيها الإمامُ المَهديُّ (عج) في ضوء معطيات الواقع كما هو، لا الظاهر كما يَبدو كالبيّنات والشَّهادات الحسيّة، أي أنَّ الإمام يَعمل بعلمه المُصيب للواقع، وهو من أفضل أشـكال الحُكم في إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه واقعًا لا ظاهرًا، لأنَّ الحُكم بالبيِّنات والشـهادات الحسـيّة، والإقرار الفرديّ -مهما كان بالغًا في دقَّته وعدالته- إلاّ أنّه قد يُخطئ الواقعَ، كما أنَّه تَدخل عليه المصالحُ الشَّخصيّة والاشتباهات والكذب والتحريف والتَّزوير ... إلخ، وهذا يُورِّط الحكومةَ والقضاءَ في الوقوع بمخالفة العدل الواقعي، وإنْ لم يكن ذلك عن عَمد وقَصد، أمّا في الدَّولة المَهدويّة فإنَّ الحكم والقضاء يُطابق الواقع كما هو في ذاته، وبذلك يأخذُ الإنسـانُ حقَّه الواقعيّ؛ عن الإمام الصادق (ع)، قال: "إذا قامَ قائمُ آلِ مُحمَّد (عليه وعليهم السـلام) حكمَ بينَ الناسِ بحُكمِ داودَ، لا يَحتاج إلى بيِّنةٍ، يُلهِمُهُ اللهُ تعالى فيَحكم بعِلمِه، ويُخبرُ كلَّ قومٍ بما استَبطَنُوهُ..."[2].

---

1 - الصدوق: الخصال، ص626.

2 - المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج2، ص386

7 - الدولة المهدوية وبلوغ العقل البشري كمال نضجه

عن أمير المؤمنين (ع) عن دولة القائم (عجَّل الله تعالى فرجَه الشَّريف): "... ويُقذَفُ في قلوب المُؤمنـينَ العلمُ، فلا يَحتاجُ مُؤمنٌ إلى ما عندَ أخيه من علمٍ، فيومئذٍ تأويل هذه الآية ﴿**يُغنِ اللهُ كُلًّا مِن سَـعتِهِ**﴾[1]"[2]. التَّغيرُّ الكماليُّ في الدَّولة المَهدويّة يَشـمل داخـلَ العقل البشري ومخَّ الإنسـان، فهي دولةٌ تَصل فيها البشريّةُ في خطِّ تطوُّرها إلى قمّـة كمال المعرفة والنضج العقلي والرُّشد العلميّ. فمهما شعرَ المجتمعُ العلمي المعاصر أنَّه قد وصل إلى مرحلة من التطوُّر ينظر فيها إلى نفسـه بإعجاب وكأنَّه بلغَ الجبالَ طولاً، سيَكتشف الإنسانُ في نهاية التاريخ، في الدَّولة المَهدويّة، أنَّ هذه العلوم كلَّها لم تكن إلّا نقطةً في بحر المعارف والعلوم في الحقول المختلفة التي سـتظهر في ذلك الزمان، ومضافًا إلى ما رُوي عن أمير المؤمنين ثمّة مجموعة روايات تُفيد هذا المَعنى نقتصر على اثنتين منها: عن أبي جعفر الباقر (ع) في حديث عن عصر الإمام الحجة، قال: "... وتُؤتَونَ الحكمةَ في زَمانه ..."[3]. وعنه (ع): "إذا قامَ قائمُنا وضعَ يدَهُ على رُؤوسِ العِبادِ، فجمعَ بِهِ عُقولَهُم، وأكمَلَ به أحلامَهُم"[4].

خاتمة

في نهاية البحث، وبعد أن تبيَّنت مجموعةُ الأفكار والمفاهيم المُتقدِّمة، نَختم بالنُّقطة المُهمّة والمحوريّة، وهي طبيعة التَّغيير المَهدويِّ، أي العمليّات التي تُؤدِّي إلى إحداث التَّغيير المطلوب في المجتمـع المَهدويِّ الذي يُراد بناؤُه، بحيث يتحوَّل المجتمعُ الإنسـانيُّ من وَضعيّته القائمة إلى الوَضعيّة التي يَنبغي أن تَقوم.

ومن خصائص التحوّلات التي شهدتها البشرية عبر تاريخها المُمتدِّ أنّها محدودةٌ مكانيًّا، فلم تَشمل أنحاء الأرض كلّها، وأنَّها نسبيّة زمانيًّا، بمعنى أنَّ لها أجلاً تَنتهي عنده، وأنَّ التحوُّل الباطنيَّ لنفوس الأفراد لم يَكن شـاملاً، أي أنّه ليس لها سلطانٌ طَوعيٌّ على العقيدة والضَّمير الأخلاقي،

1 - سورة النساء، الآية: 130.
2 - المجلسي، بحار الأنوار، ج53، ص86.
3 - النعماني، الغيبة، 243.
4 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج1، ص703.

بمعنى أنّ الناس الخاضعين للدولة قد يَلتزمون بالقانون، وإن لم يُؤمنوا بالأفكار والقِيَم المُنبثِقة في فلسفة الدَّولة...

لكن، يُلاحَظ مما تقدَّمَ، أنَّ التحوُّلات المَهدويّة تتعلَّق بالمجتمع ككلّ، وتَرتبط به كمُركَّب مَجموعيٍّ، أي أنَّها لا تَرتبط بهذا الفرد أو ذاك، أو حتى بمجموعة صغيرة هنا أو هناك، وأنَّ التَّغيُّرات المَهدويّة على نقيض التحوُّلات التي شهدها تاريخ الإنسانية، لأنّها:

أوّلًا: ستَشمل جميعَ أنحاء الأرض.

وثانيًا: سيَمتدُّ هذا التحوُّل ويُحافَظ على وجوده بصور مختلفة إلى قيام القيامة.

وثالثًا: أنَّه آخِرُ التَّحوُّلات التي ستَشهدها حياةُ الإنسان على الأرض فلا تحوُّلَ بعدَه.

المصادر والمراجع

1. أبــو هلال العســكري، الأوائل، تحقيق وتعليق محمد الســيد الوكيل، دار البشــير للثقافة والعلوم الإسلامية، ط1، 1987م.

2. ابــن أبي الحديــد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغــة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط2، 1967م.

3. ابــن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريــب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط4، 1364هـ.ش.

4. ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنة ديفلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

5. ابــن طاووس، علي بن موسى، الملاحم والفتن، نشر مؤسســة صاحــب الأمر، أصفهان، ط1، 1416هـ.

6. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمّد الزيني، مؤسّسة الحلبيّ وشركاه للنشر والتوزيع.

7. ابن هشــام الحميري، محمّد بن إسحاق، الســيرة النبويّة، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدنيّ، القاهرة، 1963هـ.

8. بريســتي، جيمس، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديــم، ترجمة: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، 2011م.

9. بولتزر، جورج، أصول الفلســفة الماركســية، تعريب شــعبان بركات، منشــورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

10. الحر العاملي، محمد بن الحســن، وسائل الشــيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1414هـ.

11. الحويزي، عبد علي

الرسولي المحلاّتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم- إيران، ط4، 1370ه.ش- 1412هـ.ق.

12. رولز، جون، محاضرات في تاريخ الفلسفة السياسية، تحرير صامويل فريمان، ترجمة يزن الحاج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2020م.

13. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط1، 1375هـ.

14. سعيد، حبيب، أديان العالم، دار الكنيسة الأسقفيّة، القاهرة.

15. عبد الرحمن، خليل، افستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، سوريا، ط2، 2008م.

16. سلامة علي، جمال، السياسة بين الأمم (النظرية السياسية وقضايا الفكر السياسي)، دار النهضة العربية، بيروت، 2005م.

17. السواح، فراس، الرحمن والشيطان -الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقيّة، منشورات علاء الدين، دمشق، ط1، 2000م.

18. السواح، فراس، موسوعة تاريخ الأديان، منشوارات علاء الدين، دمشق، سوريا، 2010م.

19. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 2004م.

20. الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، خرج مصادره الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

21. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت- لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2013م، ط1.

22. الصدر، محمّد باقر، بحث حول المهدي، تحقيق عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، قم، ط1، 1417هـ.

23. الصدر، محمّد باقر، بحث حول المهدي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت،1397هـ-1977م.

24. الصدر، محمد باقر، ضمن كتاب: مطهري، مرتضى، المجتمع والتاريخ، ص204، دار المرتضى، بيروت، 1413ه1993-م.

25. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدّين وتمام النعمة، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة- إيران، 1405هـ.

26. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ.

27. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، صححه وعلق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

28. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، 1403هـ.

29. الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، تعليق علي أكبر الغفاري، انتشارات إسلامي، قم، 1361هـ.ش.

30. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، تقديم وتعليق الحج ميرزا محسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، 1404هـ.

31. الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

32. الطوسي، محمد بن محمد، تجريد الاعتقاد، تعليق محمد جواد حسيني جلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ط1، 1407هـ.

33. عبد الواحد وافي، علي، الأسفار المقدّسة في الديانات السابقة للإسلام، مكتبة البيان العربي، القاهرة، 1384هـ - 1964م.

34. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

35. فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، إشراف مطاع الصفدي، فريق الترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشايبي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993م.

36. الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط3، 1388هـ.

37. الكوراني، علي، جواهر التاريخ، دار الهدى، ط1، 1426هـ.

38. ماركس، إنجلز، البيان الشيوعي في أول ترجمة غير مزوّرة، ترجمه وقارنه عن الألمانيّة وعلق بقاموس ماركسي على كلماته العفيف الأخضر، منشورات الجمل، 2015م.

39. المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط2، 1403هـ.

40. مصطفوي، محمد، نظريات الحكم والدولة- دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط3، 2015م.

41. مطهري، مرتضى، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، دار التيار الجديد، بيروت- لبنان، ط2، 1427هـ - 2006م.

42. المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسّسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت، ط2، 1414هـ.

43. مور، توماس، يوتوبيا، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1987م.

44. ميلر، ديفيد، الفلسفة السياسية- تمهيد موجز جدًّا، ترجمة توفيق السيف، مؤمنون بلا حدود، 2023م.

45. النشار، مصطفى، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، روابط للنشر وتقنية المعلومات، القاهرة، 2017م.

46. النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق فارس حسون، أنوار الهدى، قم، ط1، 1422هـ.